الأنصار

لمواجهة الحرب الصليبية

مجلة إلكترونية نصف شهرية

إسلامية – متكاملة – مستقلة

العدد السادس والعشرون/ فاتح محرم 1424 هـ / 03 – 03 - 2003 م

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾

محتويات العدد

البريد الإلكتروني : al-ansar0@mailcity.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كرزاي العربي وقمة العجز والخيانة

إن كـــرزاي لم يعـــد ذلـــك الاسم الذي يحمله الحاكم الأفغاني العميل، وإنما أصبح مصطلحا جديدا يطلق على العملاء من الحكـــام، أي الذين يأتي بهم العدو الأجنبي ليحكموا الشعوب بالوكالة عنه.. بمعنى أنه يوجد كرزاي أفغانستان وكرزاي الجزيرة وكرزاي الكويت وكرزاي مصر... إلخ، كما أشار إلى ذلك الإمام ابن لادن – حفظه الله – في خطبة العيد التاريخية.

إن كـــرزاي صورة مكبرة للحاكم العربي الذي تنحصر وظيفته في التنفيذ الدقيق لأوامر العدو الصليبي، وإذا كان لابد من الاجتهاد أحيانا فإنه لا يكون إلاّ في حدود إبداع الآليات والوسائل الفعالة لإنجاز المشروع الصليبي في البلاد الإسلامية، طمعا في القرب والرضى والثقة والعطاء السخي من أسياده.. فكرزاي العربي صار – كما يقال – صليبيا أكثر من الصليبيين.

فهو طاغية مع الشعب، أي متجبر وعنيد في مواقفه وسلوكه، متوحش و"بدائي" لا يسمح بالحوار والنقد والرأي المخالف، لا همـــه إلاّ مصالحه ومصالح حاشيته ولو على حساب قضايا الأمة الإسلامية كلها فضلا عن قضية قُطر بعينه.. لكن في المقابل هـــو حَمَـــلٌ وديـــع تُجـــاه العدو، أي مرن إلى أقصى الحدود، سلس منقاد، ودمية جميلة تغري باللعب، ولا بأس أن يقال إنه "متحضـــر" يفهم جيدا فنون الحوار، ويتقن بامتياز خلق التسامح، ويصر دائما على العمل بمبدأ "واخفض جناحك لمن اتبعته من الكافرين".

في هـــذا الســـياق، قام كرزاي مصر بمبادرته "التاريخية" من أجل عقد لقاء طارئ للقمة العربية، لإيجاد مخرج سلمي للحرب المحـــتملة على العراق، مع العلم أن هذا الكرزاي كان من المصرحين بالعجز العربي، مما يطرح عدة تساؤلات حول خلفية هذه التغـــيير المفاجئ.. لكن لا يهم الآن.. المهم، أن الجمل تمخض فولد فأرة.. فالبيان الرسمي الذي خرجت به القمة كان سخيفا إلى أبعـــد الحـــدود، بـــل لقد كان كاشفا لسوءة النظام العربي العلماني، وأبان بالدليل الملموس أن هذا النظام فاشل في كل شيء، وعاجـــز عن كل شيء.. إلاّ عن شيء واحد.. هو قمع الشعوب ومصادرة إرادتها في التحرر من المشاريع الاستعمارية، المباشرة أو التي تنفذ بالوكالة.. فالبيان لم يجرؤ على مطالبة الدول العربية المتعاونة مع العدو بالتراجع عن هذا الموقف المخزي والمذل، بل لم يصل إلى مجرد التصريح بإدانة هذا التعاون الذي يعد مفتاح القوة الأمريكية في حربها على العراق.

أمـــا إذا ابـــتعدنا قليلا عن الرسميات، فإن البيان غير الرسمي للقمة، والذي يعد البيان الحقيقي لها – لأنه عبر عن رغبة أكثر الحاضـــرين – قـــد دعا صراحة إلى تغيير النظام العراقي وفق الرؤية الأمريكية للوضع، أي بلغة أخرى دعا إلى القبول بكرزاي العـــراق، لـــيكون صديقا لكرزايات المنطقة، ليتسنى للجميع القيام بالدور الموكل إليهم في جو من الارتياح النفسي والاستقرار السياسي.

لقـــد ظهرت مشاهد العمالة على الملأ، بل لقد شهد شاهد من أهلها وعلى الهواء مباشرة، فالتراشق الصبياني لزعماء النظام العـــربي العـــلماني أضحك عليهم العالم أجمع، وجعل اجتماعهم مثالا واضحا على قمة العجز والخيانة، ودفع أكثر المراقبين إلى التساؤل: ألا تستحي الأمة الإسلامية من القبول بقيادة أمثال هؤلاء الكرزايات الذين جعلونا مسخرة بين الأمم؟

التحرير

﴿ وليمكنن لهم دينهم ﴾

- الجزء الأول -

سيف الدين الأنصاري

لازلنا في إطار الكلام عن موضوع النصر.. فبعد الحديث عن حتمية النصر، وعن حقيقة النصر، وعن عوامل النصر، وعن مصدر النصر.. نتحدث اليوم عما يمكن أن نصطلح على تسميته بـ"أبعاد النصر"، في محاولة لرسم صورة متكاملة للموضوع، لتزداد الرؤية الإسلامية لحقيقة وطبيعة الخط الجهادي وضوحا.. لعلنا بذلك ندفع الجيل المعاصر من أبناء أمتنا الإسلامية أولاً إلى أخذ مكانه في ميدان الدفاع عن دينه وكرامته أمته، وثانياً إلى العمل على امتلاك الوعي بالمتطلبات الفكرية والحركية التي يقتضيها السير في خط التغيير الإسلامي الثوري (خط الطائفة المنصورة) الذي يضع الجهاد على رأس الثوابت الأساسية في استراتيجية التحرك.

سوف أتجاوز هنا المعنى الذي سيقت الآية للدلالة عليه أصالة (المنطوق الصريح)، وما يحمله من التأكيد على أن التمكين للإسلام آت لا محالة، باعتباره وعدا من الله، والوعد الإلهي لا يقبل التخلف، ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾[الروم:6].. سوف أتجاوز هذا المعنى لأنني أفضل أن نتناوله في موضوع مستقل، خاصة بعد انتشار حالة الشك والتردد حول إمكانية تحقق التمكين، وتسرب اليأس إلى نفوس البعض- ومنها نفوس بعض العاملين للإسلام - إلى درجة أنهم أقصوا مسألة الدولة الإسلامية من لائحة الأهداف التي يجب أن تعمل الحركة الإسلامية على تحقيقها، لأنها بالنسبة إليهم تدخل في خانة الأهداف المستبعدة!!

المهم، نرجع إلى الآية، لأنها تحمل باعتبار دلالة الإشارة ما لـه علاقة مباشرة بموضوع النصر، وبالضبط بما أسميناه "أبعاد النصر"، والتي نقصد بها المآلات والثمار المحسوسة التي يجب أن نصل إليها من خلال تحقيقنا النصر.. فإن التبشير بالتمكين دليل على وجوب تحقيقه، انطلاقا من قاعدة أن الوعود الإلهية تحمل في طياتها التكليف بالأسباب الجالبة لها، أي أننا مكلفون بالتمكين للدين الإسلامي والعمل على تحقيق سيادته، من خلال صياغة الحياة العامة في مختلف مجالاتها وفق الرؤية الإسلامية التي ترتكز إلى مبدأ الحكم بما أنزل الله، وتجعل الشرع فوق الجميع.

نحن مكلفون بتحقيق التمكين للإسلام لأنه هو الواقع الذي يتيح للمسلمين فرصة العبادة الكاملة لله، وبغير تمكينٍ ليست هناك عبادة لله بالمعنى الكامل، وإنما هناك حالة من التعبد الناقص، وفي جانب ضيق من الحياة، تصغر مساحته يوما بعد آخر.. فبغير التمكين لا يمكن أن نعبد الله في أمور السياسة، وبغير التمكين لا يمكن أن نعبد الله في أمور الاقتصاد، وبغير التمكين لا يمكن أن نعبد الله في أمور النظام الاجتماعي.. باختصار، بغير

التمكين لا يمكن أن نعبد الله إلاّ في حالات استثنائية ضيقة، وضيقة جدا، مما يجعل المسلم يعيش واقع الفتنة في الديــن على حد التعبير القرآني. وهو واقع مرفوض إسلاميا، بل يستدعي التحرك الجاد لرفعه حتى وإن اقتضى الأمـــر الدخـــول في المواجهة مع النظام الحاكم، لأن الأنظمة التي تؤسس سياستها على سيادة الحكم الجاهلي والممارســـة الطاغوتـــية المؤديـــة حـــتما بالمسلمين إلى واقع الفتنة في الدين، هي في نظر الإسلام أنظمة فاقدة للشــرعية، ومن ثم يجب على المسلمين استبدالها حتى وإن تطلب الأمر العمل على إسقاطها بالقوة، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ **حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ** وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[البقرة:193].

من هنا يجب أن نكون شديدي الحرص على أن تتحقق من النصر المآلات والثمار المرجوة منه، أي أبعاده، لأنهـــا هـــي المعنى الإجمالي لمفهوم التمكين الذي أمرنا بتحقيقه، وبغيرها تبقى قيمة النصر – من منظور التقييم الإســـلامي – ناقصة، لأن نتيجته لم تحقق الأهداف الموضوعة للجهاد، والتي تدور كلها – بشكل أو بآخر – حول تحقيق مفهوم التمكين للإسلام.

وهـــذا يعني أن أيَّ نوع من التساهل في استحضار أبعاد النصر معناه فقدان العنصر الأساس في تحديد اتجاه الحركة، وغياب العامل الأول في استثمار الجهد المبذول، بحيث تصبح الحركة مجرد ممارسة عائمـــة تخبط في اتجاهات تائهة، وقد تبقى على هذه الحال إلى أن تســـتنفذ الطاقة في مجرد عملية التحرك. وهذه المحصلة/الأزمة قابلة للـــتكرر حـــتى في حالـــة تجديد الدماء وإمكانية التحاق العناصر الجديدة، لأن الحركة في الهواء الطلق تجعل كل واحد يبدأ من لحظة الصـــفر، أو قريـــبا مـــنها، مما يدخل الحركة الإسلامية فيما يشبه الدوران في الحلقة المفرغة، وكأنها تعيش دائما مرحلة البدايات.

> • إن أيَّ نوع من التساهل في استحضار أبعاد النصر معناه فقدان العنصر الأساس في تحديد اتجاه الحركة، وغياب العامل الأول في استثمار الجهد المبذول، بحيث تصبح الحركة مجرد ممارسة عائمة تخبط في اتجاهات تائهة، وقد تبقى على هذه الحال إلى أن تستنفذ الطاقة في مجرد عملية التحرك..

إن الجهاد حركة تنطلق من موقع الوعي بالأهداف المرجوة منه، وعـــلى رأسها اليوم إقامة الدولة الإسلامية، بحيث نجعل من النصر عـــلى الأنظمة الطاغوتية الجاثمة على صدر الأمة طريقا إلى تحقيق سيادة الإسلام وتنصيب الحكومة الإسلامية العادلة.. أما أن نحقق النصـــر العســـكري في المعـــركة الميدانية ثم نتيح الفرصة للحزب الاشـــتراكي أو للحزب اللبرالي أو للحزب المخضرم أن يجني ثمار جهودنا ونتيجة تضحياتنا فهذا ما لا يتفق بتاتا مع الرؤية الإسلامية لـــلجهاد، وهي – على كل حال – عملية سرقة خبيثة لا يجوز أن

نسمح بوقوعها على غيرنا فضلا أن نرضى بها لأنفسنا.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الحرب لا تكون جهادا إلاّ إذا كانت هادفة إلى تحقيق مقاصد إسلامية محضة.. عندها – فقط – هي جهاد، قال تعالى ﴿فقاتل في سبيل الله﴾، أي تحت راية إسلامية. وبهذا تكون العلاقة بين أهداف الجهاد وأبعاد النصر علاقة وطيدة جدا. مما يجعل قيمة ومكانة أبعاد النصر تستمد قوتها من قيمة ومكانة الراية التي يكون تحتها القتال، فإذا كانت مسألة الراية مهمة إلى الحد الذي لا يقبل أي نوع من أنواع التساهل، فإن أبعاد النصر يجب أن تنال نفس القدر في نفوس المجاهدين.

لقد ضرب المجاهدون للأجيال على امتداد التاريخ نماذج فذة في التضحية والفداء، ولقد حققوا النصر في كثير من الحروب التي خاضوها، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمواجهة مع العدو الأجنبي.. إلا أنهم في بعض الأحيان تساهلوا في مسألة أبعاد النصر، بحيث انشغلوا بالتضحية العسكرية، وتعلقوا بالرغبة في الشهادة، وانغمسوا في الحديث عن حور العين إلى الحد الذي أهملوا معه الجانب السياسي، وغاب السؤال المهم: من سيقطف ثمار النصر؟ هل سيقطفها المخلصون للمشروع الإسلامي أم سيقطفها طواغيت جدد؟ ثم ماذا بعد النصر؟ هل انتهى كل شيء والحمد لله رب العالمين أم أننا دخلنا مرحلة جديدة تتطلب سياسات وآليات جديدة يجب أن تتجاوب مع طبيعة الموقع المتقدم الذي حققناه؟

> • لقد ذهب العدو الأجنبي ليأتي عوضه طاغوت محلي يحكم الذين جاهدوا ويحكم أبناءهم وأبناء أبنائهم بأوامر الأجنبي وبشريعته!! وفي تجربة "البوسنة" القريبة مثال على التساهل في مسألة أبعاد النصر..

لقد دحر أجدادنا الاستعمار الأوروبي، وكانت دوافع ومقاصد أكثرهم إسلامية، حتى ما كان يخطر على بالهم أن حربهم ليست جهادا في سبيل الله.. ولكن ما الذي وقع؟ لقد ذهب العدو الأجنبي ليأتي عوضه طاغوت محلي يحكم الذين جاهدوا ويحكم أبناءهم وأبناء أبنائهم بأوامر الأجنبي وبشريعته!! وفي تجربة "البوسنة" القريبة مثال على التساهل في مسألة أبعاد النصر.. لقد حرر المجاهدون البلاد والعباد من الاستعمار الصربي، وقدموا نماذج فذة من التضحيات تفرض على المرء احترامها وتقديرها، بل والافتخار بها لأنها إنجاز عظيم حققه أبطال الأمة التي ننتمي إليها.. ولكن هل قطف المشروع الإسلامي ثمرة هذا النصر؟ وهل نعمت به أمتنا؟ أم قطفه المشروع العلماني الذي قلب لنا ظهر المجن إلى أن ختم القصة بالعمل على مطاردة المجاهدين الذي حرروا البلاد من الاستعمار الأجنبي؟

ولست أقصد من كلامي هذا أن جهود بعض السابقين من المجاهدين قد ضاعت، كـــلا، لست أقصد هذا، فهـــي أولاً عند الله محفوظة إن شاء الله، وأصحابها في الميزان الإسلامي خير آلاف المرات من القاعدين الذين اكـــتفوا بالمراقبة والانتظار السلبي، ثم هي ثانياً قد أحدثت تفاعلات متعددة على المستوى العالمي أفرزت واقعا جديـــدا كانت كثير من مفرداته في صالح مشروع التغيير الإسلامي، بل ونقلته نقلات نوعية إلى مواقع أكثر تقدما.. هذا أمر مسلم به، ولا مجال للجدال حوله. لكن الذي أقصده من هذه اللفتة أننا عندما نكون في موقع القـــوة (حالة النصر) فإنه من واجبنا أن نستثمر هذا الموقع لصالح المشروع الإسلامي، أي أن نوظف النصر في اتجاه تحقيق التمكين، وأن لا نسمح للآخرين أن يتلاعبوا بتضحياتنا وتضحيات إخواننا.

وعليه يكون من واجبنا الذي يدخل في إطار الإعداد أن نستحضر جيدا أبعاد النصر، بحيث تكون من البنود الأساســـية في مشروع التغيير الإسلامي، أو بعبارة أخرى امتلاك رؤية سياسية للجهاد، لأنها بمثابة الأداة التي تســـاعدنا على ملء الفراغ السياسي في حالة سقوط النظام القائم (تحقيق النصر). لأن المجتمعات بما تعيشه من التفاعلات المتداخلة والمتعددة الأشكال تشعر دائما بالحاجة إلى حركة تستوعب حاجاتهم السياسية، فإذا كان هـــناك فـــراغ سياسي في العمل الجهادي، فإن من الطبيعي جدا أن يلجأ الناس إلى حركة أخرى تملأ الفراغ السياســـي الموجـــود، وقـــد تكـــون هذه الحركة هي اللص الذي برع في سرقة النصر الإسلامي (الأحزاب العلمانية).

إن مشـــروع التغيير الإسلامي محتاج إلى استيعاب جيد لحقـــيقة الرؤية الإسلامية للصراع، لأن هذا الاستيعاب هو الذي يرتفع بالحركة الجهادية من مجرد حالة شعبية وجدانية إلى مشـــروع سياسي قادر على إدارة الحرب بطريقة لبقة وفعالة تجعله في الأخير يجني ثمار جهود وتضحيات أبنائه.. ولـــنكن عـــلى يقين أن هناك قوانين لإقامة الدول، وهناك قواعد لقيادة الأمم، فإن نحن أغفلنا هذه القوانين والقواعد فسنظل ندور فيما يشبه الدائرة المغلقة.

> • إن مشـــروع التغـــيير الإســـلامي محتاج إلى استيعاب جيد لحقيقة الرؤية الإسلامية للصراع، لأن هـذا الاســـتيعاب هـــو الـــذي يـــرتفع بالحركة الجهادية من مجرد حالة شعبية وجدانية إلى مشروع سياسي قـادر عـلى إدارة الحـرب بطـريقة لبقة وفعالة تجعله في الأخير يجني ثمار جهود وتضحيات أبنائه.

وهـــنا يـــأتي دور الوعـــي السياسي، ليس بالمعنى القذر للسياسة كما هي عند أصحاب التوجه الجاهلي، والتي تدل على علم النفاق وغياب المبدئية في الموقف (عبادة المصلحة)، ولكن بما هي علم وفن يساعد الجماعة المجاهدة على حسن إدارة عمـــلها، وعلى جني ثمار جهودها، من خلال التركيز

عـــلى استشراف المستقبل، والتخطيط للمرحلة القادمة، والعمل على وضع الإجابات عن الأسئلة التي تطرح حول الرؤية المستقبلية للصراع، لنجعل من النصر أداة للتمكين، ثم لنجعل من التمكين الأولي وسيلة إلى إعادة عهد الخلافة الراشدة إن شاء الله..

• ولـئن كـان انخفـاض مسـتوى الوعـي السياسـي نقيصـة يمكـن أن نمـررها على مستوى القواعد فإنني أعتبر أن من الخطأ الكبير أن نمـررها عـلى مسـتوى القيادات العليا المتصدية لإدارة العمل.

ولئن كان انخفاض مستوى الوعي السياسي نقيصة يمكن أن نمررها عـــلى مستوى القواعد فإنني أعتبر أن من الخطأ الكبير أن نمررها على مســتوى القـــيادات العليا المتصدية لإدارة العمل، لأن الجهل بطبيعة العمـــل التغييري الثوري ذي الجوهر السياسي البحث يقلل من قدرة القـــيادة على وضع المخططات الاستراتيجية الفعالة التي تجعل الجهود المـــبذولة تصـــب في اتجـــاه جني الثمار المرجوة. ولهذا ذهب بعض الباحـــثين إلى أنه "حتى القواعد وقيادات الوسط يجب أن تنال حظها مـــن الفهم، لأنها هي التي ستفرز قيادات المستقبل في درب يستهلك كوادره أول بأول"[1].

يجب أن نضع في تصورنا أن مشروع التغيير الإسلامي هو – بالأساس – عمل سياسي، ليس بالمعنى الساذج الـــذي يحصر الكفاح السياسي في المشاركة البرلمانية الصورية والانغماس في فتنة التشريع والتحاكم إلى دساتير الطـــاغوت، ولكن بمعنى الإدارة الجيدة للعمل الهادف إلى تغيير النظام الطاغوتي بنظام إسلامي.. بكل ما تتطلبه هـــذه العملية المعقدة من إدراك جيد لفقه المرحلية وفقه استعمال القوة وفقه التحييد وفقه المواجهة في إطار من الموازنة الدقيقة بين المصالح والمفاسد...إلخ

المهم، يجب أن نبذل أرواحنا بكل شجاعة، ويجب أن نرخص دمائنا لله بكل سخاء، ولكن يجب – كذلك – أن يكون وراء هذه التضحيات هدف دنيوي تجنيه الأمة الإسلامية.. وليس بضرورة نحن كأشخاص، المهم أن نعمـــل على أن تكون ثمرة جهادنا هي قيام الدولة الإسلامية.. هذه هي أهداف الجهاد، وهي الأبعاد التي يجب أن يصل إليها النصر.

نعم، قد نكون باعتبارنا أفرادا مطالبين بتغليب الجانب الأخروي، واستحضار الغاية (العبادة) والأجر (الجنة) أكـــثر من الهدف الدنيوي (التمكين)، كما يشير إلى ذلك حديث عبد الله بن رواحة ﷺ حين قال لرسول الله

1 – التجربة السورية للأستاذ عمر عبد الحكيم حفظه الله.

ﷺ لـــيلة العقبة ونقباء الأوس والخزرج يبايعونه على الهجرة إليهم: "اشترط لربك ولنفسك ما شئت. فقال: أشـــترط لـــربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا. وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم. قال: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: الجنة.. قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل".

نعم، هكذا.. "الجنة ".. والجنة فقط! لم يقل: لكم النصر والعز والتمكين والرخاء.. مما هو آت ولاشك. لم يقـــلها لأنها خارجة عن نطاق الصفقة مع الله، وفي هذا النطاق ليس هناك إلاّ قصد واحد هو تحقيق العبودية لـــيكون الأجر هو رضى الله والجنة. لم يقلها لأن المقام مقام تربية تهدف إلى غرس معاني التجرد لإقرار القيم الأساســـية في التصور الإسلامي، من أجل بناء الشخصية الإسلامية التي تحمل الأمانة الكبرى،.. لهذا لم يذكر لهم شيئا من أشياء هذه الحياة.. مما يذكره في مواضع أخرى. إنه يرسخ هنا القاعدة الكلية في هذا الدين، والتي تركز على الغاية (تحقيق العبودية) لا على الهدف الدنيوي.

لكنّ الإسلام ليس كله توجيهات للتربية والبناء نفسي، وليس كله خطابا للأفراد باعتبارهم أفرادا، إنه نظام متكامل يهدف إلى ضبط الحياة البشرية التي يحياها الناس على الأرض وفق مبادئه وأهدافه، إنه دين رباني فتح أمامنا مستقبلا إنسانيا عاليا نأمل أن نصل إليه، بل هو نفسه طلب منا أن نصل إليه، ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِـــنَ اللَّـــهِ وَفَـــتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الصف:13]، دون أن يعني ذلك أن نوع من أنواع القمع للرغبات الشخصية في نيل الشهادة وإدراك منازل الشهداء.

> • يجــب أن نــدرك أن هــناك أمـران لابـد مـن تحقـيق الـتوازن بينهما: الغاية العليا للمسلم في الحـــياة (تحقـــيق العـــبادة) والهـــدف الكـــبير لـــدوره في الحياة (التمكين للدين).

يجب أن ندرك أن هناك أمران لابد من تحقيق التوازن بينهما: الغايـــة العلـــيا للمسلم في الحياة (تحقيق العبادة) والهدف الكبير لـــدوره في الحـــياة (التمكين للدين)، لأن هذا التوازن هو الذي يضـــمن لـــنا التوفـــيق بين أشواق الفرد المتطلعة إلى ما عند الله ومصـــلحة الأمة التي أخرجت لتقود الأمم ولتمكن لدين الله في الأرض، ليتحقق الوعد الإلهي الذي أخبر به في ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾[النور:55]. ◆

الجزائر وبصيص الأمل

أبو عبيد القرشي

تخوض الأمة الإسلامية – ممثلة في طلائعها الجهادية– حربا مصيرية ضد الجحافل الصليبية – الصهيونية على كل المحاور. في هذا الخضم يجدر بنا التعرف على كل الجبهات الملتهبة التي يذود فيها المجاهدون الأشاوس عن دينهم وأمتهم، ولا سيما تلك التي لم تنل التغطية الإعلامية المنصفة فحسب، بل وذاقت الأمرين من الظلم والتشويه لدرجة لا تصدق. ولعل الجهاد الجزائري يأتي على رأس قائمة الجبهات المنسية التي تستدعي الاهتمام البالغ والعاجل، خاصة في ظل التكالب الحاصل بين القوى المحلية والدولية.

1- الخلفية التاريخية

كما لا يخفى فإن شرارة الجهاد الجزائري انطلقت نتيجة الظلم الكبير والبطش والتنكيل الذي لحق بالمسلمين جراء الانقلاب العسكري الذي قام به كبار ضباط الجيش الجزائري ضد رئاسة الشاذلي بن جديد، وذلك إثر الفوز الكاسح للجبهة الإسلامية للإنقاذ في انتخابات سنة 1991. أدى الانقلاب إلى الزج بالآلاف المؤلفة من الجزائريين في السجون والمعتقلات السرية والعلنية، ولم يبق لأبناء الحركة الإسلامية في الجزائر إلا الاختيار بين دفع هذا الصائل الخبيث، أو التخلي عن معتقداتهم ومبادئهم، أو الفرار بدينهم إلى أماكن أخرى.

ظنت القيادة العسكرية أن القضاء على الإسلام في الجزائر سيكون هيّنا ولن يتطلب سوى شهورا معدودة، ولا سيما أن الأجهزة الرسمية كانت تمكر بالليل والنهار لتحقيق ذلك. وقد زاد من ثقتهم في نجاح مخططهم أن أبناء الحركة الإسلامية لم يكونوا مستعدين للقتال نظرا للأجواء المنفتحة التي كانت تعيشها الجزائر قبل الانقلاب. لكن ورغم عامل المفاجأة نظم الشباب المسلم نفسه لمواجهة هذا النظام الطاغوتي، واستطاع هؤلاء الأبطال رد الصاع صاعين في العديد من المناسبات، لدرجة أن الحكم في الجزائر كاد يسقط في يد المجـــاهدين (1994-1995) وبدأت الدول الكبرى تستعد لهذه الفرضية جديا[1]. لكن العديد من العوائق حالت دون تطوير الأداء الجهادي، ومن بينها:

---

1 - Fuller, Graham E. *Algeria: The Next Fundamentalist State*? Santa Monica, Calif.: RAND, 1996.

- **خبث النظام الجزائري:** من المعروف أن النظام الجزائري استفاد من دروس الثورة ضد فرنسا، إضافة إلى أنه واجه ثورة إسلامية خلال عقد الثمانينات (ثورة بويعلي رحمه الله)، وهي عوامل لعبت لصالحه لأنها أعطته الخبرة اللازمة لمحاولة إجهاض الجهاد في الجزائر في مراحله الأولى. كما أن هذا النظام ارتبط طيلة عقود بكل المنظمات الثورية في العالم، التي تعامل معها على أساس "نصرة" القضية الفلسطينية، فحصّل تراكما معلوماتيا معتبرا حول هذه المنظمات وأساليب عملها على المستوى الدولي.

من جهة أخرى تعدت دموية القادة العسكريين كل حدود الوحشية، فقد خططوا أساسا لاستهداف المدنيين العزل كوسيلة للضغط على المجاهدين، وفاتت حصيلة الممارسات الهمجية للأجهزة القمعية كل التوقعات. فتعطش قادة العسكر للدماء ليس شيئا طارئا وإنما خطة ممنهجة، وضع لمساتها الأولى اللواء إسماعيل العماري مدير الاستخبارات (DRSمديرية البحث والأمن) خلال اجتماع مع مسؤولي الجيش الجزائري في بداية الصراع، عندما أعلن أنه مستعد بالتضحية بثلاثة ملايين جزائري من أجل "استتباب الأمن"، وهي دعوة صريحة للبطش والتنكيل والقتل الجماعي.

> • تعدت دموية القادة العسكريين كل حدود الوحشية، فقد خططوا أساسا لاستهداف المدنيين العزل كوسيلة للضغط على المجاهدين، وفاتت حصيلة الممارسات الهمجية للأجهزة القمعية كل التوقعات. فتعطش قادة العسكر للدماء ليس شيئا طارئا وإنما خطة ممنهجة.

- **دور الاستخبارات العسكرية:** لعبت الاستخبارات الجزائرية أدوارا مشبوهة لصالح السوفييت بهدف اختراق صفوف المجاهدين العرب عبر إرسال بعض المتطوعين (هم في الحقيقة ضباط استخبارات) إلى أفغانستان، وقد شكل هؤلاء الجواسيس لدى عودتهم النواة الأولى لاختراق المجاهدين في الجزائر، إضافة إلى بعض أتباع حركة بويعلي ممن تم استقطابهم داخل السجون[1]، وقد تمكنت الاستخبارات عبر ذلك من تحقيق التأثير في سير الجماعة الإسلامية ثم تحريفها عن مسارها، واستغلالها لتدمير المشروع الإسلامي من الداخل.

- **دور الأنظمة العربية** : لعبت الأنظمة العربية دورا مكثفا لمساعدة الانقلابيين في الجزائر، فالنظام السعودي كان أول من هب لمساندة طواغيت الجزائر بمدهم بالأموال الطائلة (3 مليار دولار في أول دفعة)، بل

1 – الحركة الجزائرية للضباط الأحرار ، *"زوابرية النظام" انظر* http://www.anp.org

لقد وجه الملك فهد النصح للقيادة الجزائرية الجديدة (أثناء لقاء مع اللواء خالد نزار) في كيفية التعامل مع المسلمين في الجزائر لخصها في ثلاث كلمات: "العصا.. العصا.. العصا"[1]. من جهة أخرى تكلف النظام السعودي بإشعال الحرب النفسية ضد المجاهدين عبر اللجوء إلى العلماء العملاء، الذين قادوا حملة تشويه شعواء ضد كل الصادقين من أبناء الحركة الإسلامية في الجزائر، وذلك لمنع الأمة من التعاطف مع مأساقم، ونجحوا في ذلك إلى حد كبير. بموازاة ذلك قامت الآلة الدعائية السعودية بنشر الأكاذيب والأراجيف ضد المجاهدين في صحفها العالمية بينما حاولت تجميل الصورة القبيحة لحكام الجزائر، وقد دفعت الاستخبارات الجزائرية مقابلا ضخما للساهرين على تقديم تلك الخدمات، كما حصل مع الصحفي أمير طاهري[2].

• تكلف النظام السعودي بإشعال الحرب النفسية ضد المجاهدين عبر اللجوء إلى العلماء العملاء، الذين قادوا حملة تشويه شعواء ضد كل الصادقين من أبناء الحركة الإسلامية في الجزائر.

على صعيد آخر بعث النظام السوري والتونسي كبار جلاديه للجزائر لتعليم نظرائهم هناك كيفية الاستنطاق والتعذيب والبطش بالمسجونين، وإفادقم بالتجربة السورية والتونسية في القضاء على الحركات الإسلامية.

• **دور الدول الغربية:** لعبت الدول الغربية وفي مقدمتها فرنسا وأمريكا دورا ضخما في ضخ الأموال والأسلحة والعتاد والمعلومات لصالح عسكر الجزائر. بل يمكن القول أن بعض الأجهزة الاستخباراتية الفرنسية حملت لواء الحرب النفسية والإعلامية ضد المجاهدين، وذلك عبر اقامهم المكرر — عبر الصحافة المتواطئة – بشتى النعوت والأوصاف القبيحة والذميمة، وكذلك تحميلهم مسؤولية ما يقترفه العسكر الجزائري من جرائم، إضافة إلى التضييق في الخارج على كل من يتحرك ضد مصالح حكام الجزائر.

2- الحصيلة

بلغت حصيلة الحرب الشعواء التي قادها النظام الجزائري ضد الحركة الإسلامية وقواعدها والمتعاطفين معها الأرقام التالية:

1 – انظر مذكرات اللواء خالد نزار.

2 – الحركة الجزائرية للضباط الأحرار، "*المجزرة والصحافة: لا يوجد سر لا يكشفه الزمن*" . انظر http://www.anp.org

- مئات الآلاف من القتلى (200000 حسب منظمات حقوق الانسان، 100000 حسب تصريح الرئيس بوتفليقة)
- عشرات الآلاف من المختطفين (15000 حسب حركة الضباط الجزائريين الأحرار، 7000 حسب منظمة هيومان رايتس ووتش لحقوق الإنسان[1]) وكل أصابع الاتهام تشير إلى المسؤولية الكاملة للسلطات في هذه الممارسات البالغة الشناعة، التي تحرم العائلات من معرفة مصير ذويهم.
- عشرات الآلاف (60000 تقريبا) من المسجونين ظلما وعدوانا.
- 20 مليار دولار من الخسائر الاقتصادية، نزل على إثرها الدخل القومي للفرد من 2500 دولار عام 1990 إلى 1376 دولار عام 1997 ثم 1500 دولار عام 2001 (أي انخفض بحوالي 60 % من مستوى عام 1990).
- على الصعيد الاجتماعي ارتفع عدد العاطلين عن العمل من 1300000 شخص عام 1992 إلى 4200000 شخص عام 2001. كما تفاقم الفقر خلال العقد الماضي، فقد ارتفع عدد الفقراء الذين يعيشون تحت الحد الأدنى للفقر من 150000 شخص عام 1990 إلى 1500000 شخص عام 2001، مما أدى إلى ظهور الكثير من الأمراض الاجتماعية التي لم يعرفها المجتمع الجزائري من قبل.

3- الوضع الحالي

> • إن بقاء هذه الحركة في ساحة الجهاد بالجزائر هو في حد ذاته كرامة من الرحمان، بالنظر إلى حجم المكر الضخم الذي طال أهل الجزائر من طرف الجيش.

حقيقة لو وقعت مثل هذه الوقائع في بلد آخر لكان الجهاد انتهى منذ زمن بعيد، لكن الله قيض لأمر هذا الدين رجالا استثنائيين رفعوا لواء الجهاد في سبيله، ولم يأبهوا لمن خالفهم ولا من خذلهم. وهؤلاء هم الرجال الذين قامت على أكتافهم الجماعة السلفية للدعوة والقتال.

إن بقاء هذه الحركة في ساحة الجهاد بالجزائر هو في حد ذاته كرامة من الرحمان، بالنظر إلى حجم المكر الضخم الذي طال أهل الجزائر من طرف الجيش. فإضافة إلى الكيد الاستخباراتي الهائل الذي أدى إلى استسلام غالبية من حمل السلاح لمواجهة الطغيان، فقد تم استخدام كل أنواع الأسلحة

---

1 - Human Rights Watch, *Algeria Led World in Forced Disappearances*, (New York, February 27, 2003)

الكيماوية المحرمة دوليا وكذلك كل أنواع الأسلحة التقليدية والطيران في دك معاقل هؤلاء الأبطال، إلا أن ذلك لم يزدهم إلا ثباتا ويقينا في النصر. ويرجع الفضل لهم بعد الله في بقاء جذوة الجهاد مشتعلة.

1 – التعريف بالحركة السلفية للدعوة والقتال

إثر افتضاح الاختراق الكبير الذي أصاب الجسم الجهادي بشكل عام، اتفقت ثلة من خيرة المجاهدين على تصحيح المسار الجهادي عبر تكوين إطار آخر يكون أنقى منهجيا وأمنع أمنيا وأصلب تنظيميا وأقوى عسكريا، وهو عمل جبار يكاد يكون مستحيلا بسبب ميلان الكفة لصالح الجيش في كافة الميادين، وخاصة في ميدان الحرب النفسية، الذي نجح الجيش عبرها في بث الشك تجاه المجاهدين في الجزائر.

ومع ذلك فقد تأسست الجماعة السلفية للدعوة والقتال – حسب بعض المصادر الغربية[1]– سنة 1998، وبلغ عدد المنضوين تحت الإطار الجديد 700 من المجاهدين. كان أمير الجماعة في البداية هو أبو مصعب عبد المجيد، ثم انتقلت الإمارة بعد مقتله إلى أبي حمزة حسن حطاب. وقد نجحت الجماعة السلفية في تركيز عملها الجهادي في المناطق الشرقية للجزائر وبشكل خاص في ولايتي بومرداس وتيزي وزو حيث تحكمت جيدا في المناطق الجبلية لهذه الولايات[2] مع تواجد جيد في مناطق البويرة وباتنة وتبسة.

2 – مميزات الجماعة السلفية للدعوة والقتال

- **القيادة الراشدة:**

بالنظر إلى التطور الذي عرفته مسيرة الجماعة السلفية للدعوة والقتال يمكن القول بأن الجماعة تتوفر على قيادة راشدة بكل المقاييس، فقد عبرت الجماعة على يد قادتها أمواج الفتن العاتية إلى بر الأمان، وزاد عدد المنتسبين إليها – حسب المصادر الغربية دائما[3]– إلى 4000 مجاهد كما تضاعفت الشبكة المساندة على طول التراب الجزائري وعرضه. وقد عرف عن قيادة الجماعة السلفية الالتزام الدقيق بالتعاليم الشرعية في الجهاد،

1 - Jonathan Schanzer, Algeria's GSPC and America's 'War on Terror' *Policy Watch,* Number 666, October 2, 2002

2 - El Kadi Ihsane, ' In the Heartland of the GSPC' , *Algeria Interface* 16/12/2002

3 - Keith G Emuang, The World's Deadly Terrorist Groups: Salafist Group for Call and Combat, *MIW*, 13/12/2002

وشهد لهم بذلك العدو قبل الصديق، لذلك فقد تعاطف الأهالي مع الجماعة بشكل كبير، وساندوها كلما سنحت الفرصة لذلك.

- **الاستراتيجية المحنكة:**

• لجأت الجماعة إلى أسلوب حرب العصابات، وتمركزت في المناطق الجبلية الوعرة، التي لم يستطع قط الجيش الفرنسي دخولها خلال حرب التحرير. وكان لاستهداف الجماعة للدوريات والقوافل العسكرية بالغ الأثر في معنويات الجيش، وذلك أن الضربات المركزة والمؤلمة والمفاجئة تقض مضجعه.

لقد لجأت الجماعة إلى أسلوب حرب العصابات، وتمركزت في المناطق الجبلية الوعرة، التي لم يستطع قط الجيش الفرنسي دخولها خلال حرب التحرير. وكان لاستهداف الجماعة للدوريات والقوافل العسكرية بالغ الأثر في معنويات الجيش، وذلك أن الضربات المركزة والمؤلمة والمفاجئة تقض مضجعه، خاصة وأنه لا يستطيع تعقب المجاهدين بعد ذلك، لوعورة المسالك وعلم المجاهدين مسبقا بقدومه بفضل شبكة استخباراتية متطورة. ومن ضمن الضربات المؤلمة التي سددها المجاهدون مؤخرا للجيش السفاح، الهجوم الكبير الذي استهدف منذ شهرين قافلة عسكرية قرب مدينة باتنة (450 كم جنوب شرق العاصمة) وأدى إلى مقتل حوالي 50 جنديا وضابطا في الحصيلة الرسمية للجيش (الحصيلة الحقيقية أكبر من ذلك بكثير).

كما أن تمركز الجماعة السلفية في منطقة القبائل كان خيارا ممتازا لأنها منطقة تُعرف منذ القدم برفضها للظلم والطغيان، كما أنه حطم آمال عملاء الاستعمار في دك إسفين بين البربر سكان منطقة القبائل والمشروع الإسلامي، لأن سكان القبائل آووا ونصروا المجاهدين، وخيبوا ظن من كان يريد الاصطياد في ماء الشعوبية العكر.

- **الثبات على المبدأ:**

منذ بداياتها والجماعة السلفية تتميز بسلامة العقيدة ووضوح المنهج، وقد ساعدتها هذه المميزات على تخطي العديد من العقبات، وأشدها على الإطلاق الخداع الكبير الذي سمي بالوفاق المدني، وهو اتفاق شفهي يقضي باستسلام المقاتلين و"التوبة" مقابل عفو الدولة وبعض الوعود المادية التافهة، إضافة إلى وعود أخرى تقضي بإرجاع الأوضاع إلى سابق عهدها والإفراج عن المعتقلين الخ. وقد لعب علماء السلطة ووعاظ الشرطة دورا

رئيسيا في التغرير بالكثير من المقاتلين ممن يفتقرون لوضوح الرؤية، وسوغوا لهم تلك الخطوة بأنها ستوقف المجازر (التي يقوم بها الجيش) ونزيف الشعب الجزائري، فاستسلم نتيجة لذلك قرابة 3000 من التابعين للجيش الإسلامي للإنقاذ[1]. لم يفطن هؤلاء أن هذا الأمر دُبِّرَ بليل، ولم يكن يعني سوى منح غطاء قضائي للعفو عن ضباط الاستخبارات الذين أقاموا المذابح للشعب الأعزل. وقد ظهر الخداع بعدما نكث العسكر بوعودهم، فلا المساجين أطلقوا، ولا المجازر توقفت، ولا الحريات أعيدت... وعلى نفسها جنت براقش.

• وكان التزام الجماعة بالمبادئ الشرعية والعقدية بمثابة الصخرة التي تحطمت عليها أماني قادة الاستخبارات. لم تأبه الجماعة ِكتْ لوحدها تواجه الجيش السفاح.

في المقابل رفضت الجماعة السلفية هذا الاتفاق الأخرق جملة وتفصيلا، وكان التزام الجماعة بالمبادئ الشرعية والعقدية بمثابة الصخرة التي تحطمت عليها أماني قادة الاستخبارات. لم تأبه الجماعة أنها تُرِكتْ لوحدها تواجه الجيش السفاح، ولا ثناها عن عزمها الوعود الكثيرة التي عرضت عليها، سواء من قبل القيادات العسكرية أو من قبل الرئيس بوتفليقة نفسه، بل استمرت الجماعة لا يضرها من خالفها ولا من خذلها في سعيها الدؤوب نحو إقامة الدولة الإسلامية.

3 – عوائق أمام الجماعة السلفية للدعوة والقتال

- **التدخل السافر للدول الغربية:**

لقد واجهت الجماعة السلفية للدعوة والجهاد منذ إنشاءها العديد من التحديات على مستوى الجزائر، ولم يكن للجماعة – حسب القرائن المتوفرة – أية طموحات لتمديد أنشطتها خارج الجزائر. لكن فرنسا التي تعتبر الجزائر حديقتها الخلفية، سعت منذ الأيام الأولى لنشأة الجماعة إلى تعقب المتعاطفين معها في الخارج. وقد زجت فرنسا بالعديد من هؤلاء (مباشرة أو عبر حلفاءها) في السجون، وألصقت بهم تهما خيالية، كما حدث حين أقيمت كأس العالم في فرنسا. ثم بعد غزوة 11 سبتمبر دخلت أمريكا على الخط، وبدأت تحلم بالقضاء على كل المجاهدين شرقا وغربا، بما في ذلك من ليس له علاقة البتة بتنظيم القاعدة. منذ ذلك الحين وأمريكا

1 – لعب كذلك الاختراق الاستخباراتي دورا كبيرا في هذا الاتجاه إذ أن مدني مزراق أحد المسؤولين الكبار لهذا الفصيل عليه أكثر من علامة استفهام. انظر الحركة الجزائرية للضباط الأحرار، *"زوابرية النظام"*. **http://www.anp.org**.

تتعاون مع النظام السفاح في الجزائر ضد المجاهدين من الجماعة السلفية للدعوة والقتال، فأنشأت مركزا مخصصا لهذا الغرض في العاصمة الجزائرية، وأمدت الأجهزة القمعية بشتى أنواع التسليح والتدريب.

- **الأوضاع الأمنية المعقدة**

لقد حالت العديد من الأسباب بينها وبين تطور أداء الجماعة في الميدان الإعلامي بشكل خاص، الذي لا غنى عنه في تعريف الأمة بقضيتهم. فرغم أن الجماعة تتوفر على موقع في شبكة الإنترنت، إلا أن الأوضاع الأمنية البالغة التعقيد تحرمها من تطويره بشكل دائم. فمثلا نشرت بعض الصحف الجزائرية[1] كيف أن الأجهزة القمعية استطاعت إلقاء القبض على مجاهدين كانا يسعيان لتطوير موقع الجماعة على الشبكة، ويختلسان الخطوط الهاتفية لبعث بيانات الجماعة إلى الخارج.. وهو نموذج يعطي فكرة حول العوائق التي تواجه المجاهدين في هذا الباب.

• لقد حالت العديد من الأسباب بينها وبين تطور أداء الجماعة في الميدان الإعلامي بشكل خاص، الذي لا غنى عنه في تعريف الأمة بقضيتهم. فرغم أن الجماعة تتوفر على موقع في شبكة الإنترنت، إلا أن الأوضاع الأمنية البالغة التعقيد تحرمها من تطويره بشكل دائم..

4 - الخاتمة

لقد دفع قادة الجيش بلاد الجزائر إلى حافة الإفلاس على كافة الأصعدة السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية ، وضاق الشعب الجزائري ذرعا بهؤلاء الحكام الطواغيت، بعدما ظهر عيانا كيف قادهم هؤلاء نحو الذل والهوان وضياع الدين والأرزاق والحرمات. لقد باتت الغالبية المستضعفة تنتظر اليوم الذي تتخلص فيه منهم، و هنا تبرز مكانة الجماعة السلفية للدعوة والقتال كرقم صعب في صناعة مستقبل الجزائر.♦

1 - يومية وهران 2001/11/7

آية العدد - دعوة إلى التدبر

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران)

من مشكاة النبوة

عَـن ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ" أبو داود

هل تعلم ؟

هل تعلم أن أساليب التحقيق خمسة؟

خامسا: أسلوب "غرف العصافير":

وهو أسلوب يلجأ إليه المحققون ليحصلوا على المعلومات عن طريق حبس المعتقل في غرفة/زنزانة فيها عملاء يتصرفون كأنهم مسجونون، بحيث يتمكنون مع الزمن من استلال المعلومات التي تعينهم في التحقيق من المتهم لكن بطريقة هادئة.. وغالبا ما ينفذ هذا الأسلوب بـ:

❁ دفع المعتقل إلى تبادل حكايات الماضي ليأخذ العصفور/العميل فكرة واضحة عن تاريخه.. مما يعين المحقق على تفهم شخصيته.

❁ دفع المعتقل إلى حكاية بعض الأحداث والوقائع التي لها علاقة بنشاطه الإسلامي ليطير بها العميل إلى المحقق.

❁ دفع المعتقل إلى حكاية الأسماء التي يعرفها شخصيا أو التي يسمع عنها.. أولاً لتساعد المحقق في عملية الخداع وثانياً لتمرر إلى أجهزة الاستخبارات.

من كلام السلف

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

أقوال بدون تعليق

❁ – انتقد وزير الخارجية السعودي المبادرة الفرنسية – الألمانية، وقال إنها لم تحدد وقتا لعمل المفتشين، وتطيل أمد الحصار على العراق، وأوضح أن الحل الأميركي يعني ضرب العراق بالسيف، بينما الحل الفرنسي – الألماني يعني خنقه.

❁ – للتعبير عن معارضته للحرب المحتملة ضد العراق قرر بريتون باربر (طالب يدرس في إحدى ثانويات مدينة ديربورن بولاية ميشيغان الأميركية)، يوم 17 فبراير (شباط) الحالي ارتداء قميص «تي. شيرت» عليه صورة للرئيس جورج بوش وكلمتا "إرهابي عالمي".

من شعر الحماسة

نذروا النفوس لربهم ومضوا ... يسعون للإبرار بالنذر

خاضوا غمار الحرب لم يهنوا ... وعلى النحور دماؤهم تجري

حملوا لواء الحق وانطلقوا ... والنور في قسماتهم يسري

إن أقبلوا فالحرب مقبلة ... شعواء تقطع دابر الكفر

أو أدبروا فالعمر منقلب ... ما بين هذا الكر والفر

يحذوهم صوت النفير إلى ... ساح الوغى ومعامع حمر

خطبة الإمام "ابن لادن"

ومعالم الحل الإسلامي

أبو أيمن الهلالي

تمر الأمة الإسلامية اليوم من منعطف دقيق في تاريخها المعاصر إن لم تشمر عن ساعد الجد والاجتهاد، وتهجر حياة اللغو واللعب والذل والاستعباد، وتلتحق بسفينة النجاة/المجاهدين، حيث يعمل العدو الصليبي بكل ما في وسعه للسيطرة المطلقة على بلادنا العربية والإسلامية من خلال سايكس بيكو جديد تحت عناوين تضليلية خادعة مثل "محاربة الإرهاب" و"نزع أسلحة الدمار" و"إزالة الطاغية صدام"...، وتنصيب عملاء جدد يتناسبون مع طبيعة المرحلة والأهداف المسطرة، وأيضا مع الفاعل السياسي الجديد المتمثل في الحركات الجهادية، الذي يعي دينه جيدا، ويمتلك رصيدا هائلا من التجربة التاريخية مع عملاء الصليب/الطواغيت العربية، غير مقيد بالقاموس الدولي، وخاض حروبا مباشرة مع العدو الروسي والأمريكي والبريطاني والصهيوني، ويدرك اللعبة الدولية، كما يمتلك إرادة مصممة أكثر من عدوه، وكذلك قدرات عقلية كبيرة تمكنه من الاستمرار في معركته التحريرية وتحقيق النصر بإذن الله، لأن الصراع في نهاية المطاف صراع إرادات وعقول.

جـــاء خطـــاب إمامنا المجاهد الشيخ ابن لادن – حفظه الله – ليقدم معالم الحل الإسلامي لما تعانيه أمتنا، مـــتجاوزا بذلك كل الحلول الترقيعية والتسولية التي تنهجها المدرسة العلمانية، والإسلامية المدجنة التي أثبتت فشلها، وعدم قدرتها على مواكبة المتغيرات، فضلاً عن التعامل الصحيح مع الواقع الدولي/الهجمة العالمية بزعامة الكلـــب بـــوش، ودليلـــنا هـــو ما يحدث قي فلسطين الجريحة والشيشان المجاهدة وأفغانستان الحرة وكشمير والفلبين..، الذي كشف عوراتها العقدية والسياسية والاستراتيجية والتربوية.

إن خطـــاب الإمـــام ابـــن لادن — حفظه الله - يعتبر من **أوجب الواجبات الشرعية والسياسية في هذه الأوضـــاع الخاصة**، وفي كل الأوضاع بشكل عام، فهو كان منتظرا من قبل اتباعه ومناصريه وأعدائه أيضا، لأنه أصبح من الفاعلين الرئيسيين في الساحة الدولية الذي يحسب لكلامه ألف حساب، ويجب أن يبلغ مواقف المجـــاهدين من الأحداث الجارية، فعبرها تدرك الأمة منهج الإسلام، وموقفه من الهموم والقضايا الواقعية، مما ييســـر فهمهـــا لدين الله، وبالموازاة يحميها من المضللين والمتاجرين بقضيتها. كما تعتبر المواقف من الأحداث الســـاخنة في فلسطين والشيشان وأفغانستان وما يهيأ للشعب العراقي خير دليل، حيث اتسمت كل مبادراتهم ومواقفهـــم بالتـــناقض نســـقا وسياقا، ووقوفها عمليا مع التذبيح والتقتيل الممارس من طرف العدو الصليبي والصهيوني.

أولا – استراتيجية العدو الصليبي والفرصة التاريخية:

إن استراتيجية العدو ماضية في تحقيق مشروعه الصليبي وأهدافه الاستعمارية التوسعية، ونهب خيرات الأمة، والتمكين لحليفه الاستراتيجي/آل صهيون من إنجاز حلمه التاريخي/المشروع الصهيوني في إقامة ما يصطلح عليه سياسيا بـــ"إسرائيل الكبرى".

إن العدو الصليبي بزعامة أمريكا لم يعد مقتنعا بجدوائية عملائه السابقين، وباتفاقية سايكس بيكو المبرمة بين فرنســا وبريطانيا، أي بحجم بعض الدول القطرية الموجودة حاليا سواء من ناحية مساحتها الجغرافية أو عدد ســكانها، وكذلــك حكامهــا، بسبب يقظة الأمة الإسلامية واكتشافها لحقيقة/خطورة الدولة القطرية على المشروع الإسلامي، وأيضا لخيانة حكامها الذين حولوا الأرض والإنسان إلى عقار صليبي وصهيوني، لكن تحت إشرافهم، فضلا عن المتغير الجديد الذي طرأ على الساحة الإقليمية والدولية، والمتمثل أساسا في التحدي الخطير الذي تشكله الحركات الجهادية على مشروعه الصليبي، وكذلك على قاعدته الخلفية /آل صهيون في فلسطين المحتلة.

وعلــيه، فــإن الإمساك بالثوابت الاستراتيجية والسياسية للعدو الصليبي يساعدنا في فهم خلفية تحركاته في الــبلاد العربية والإسلامية وطبيعة أهدافه التوسعية، سواء تعلق الأمر بقواعده العسكرية المتواجدة في كل من السعودية والكويت والبحرين وقطر... أو الرشاوى/المساعدات التي يقدمها سنويا لكل من مصر والأردن...، أو وساطته بخصوص الحوار السوداني...، أو السماح بالتواجد السوري في لبنان، الذي أعيد مؤخرا انتشاره في بعض المناطق...، أو هدفه من الحرب على العراق...

> • إن الأمر خطير جدا وأكبر مما يتصــوره المرتــزقة مــن الحكــام والمثقفين والسياسيين، والنائمين مــن بعــض المخلصــين الســذج الغـافلين عـن مـا يحـاك للأمـة. فمـثلا الحـرب علـى العـراق ليسـت سوى حلقة من المشروع الصليبي.

إن الأمر خطير جدا وأكبر مما يتصوره المرتزقة من الحكام والمثقفين والسياسيين، والنائمين من بعض المخلصين السذج الغافلين عن ما يحاك للأمة. فمثلا الحرب على العراق ليست سوى حلقة من المشروع الصليبي، أي هدف مرحلي، وأن ما يتم ترويجه في وسائل الإعلام المختلفة والعربية خصوصا مـــن كون صدام دكتاتور يجب تنحيته، والامتثال للقرارات الأممية، والسماح للمفتشين بنزع أسلحة الدمار...، ليست ســـوى أهداف تضليلية، أي محرك وهمي للأمة لكي تبقى مخدرة حتى يفوت الأوان، وما أدراك ما يعني فوات الأوان.

لذا فإن العدو يسعى جاهدا للاستفادة من اللحظة التاريخية/ العصيبة التي تمر منها الأمة، بسبب جهلها بأبعاد مخططاتـــه، والخوف والإنهاك والتعب والإذلال الذي يمارس عليها يوميا من طرف عملائه من الحكام وعلماء السوء والمرتزقة من المثقفين والسياسيين، وكذلك الإعلام الرسمي العميل، مخافة التغير الذي قد يحصل في ميزان القوى عن طريق المجاهدين المتواجدين في معظم الدول العربية والإسلامي (لأنها مسألة وقت)، ويمارسون عمليا جهادهم التحريري في كل من الشيشان وفلسطين وأفغانستان وكشمير واليمن والجزيرة العربية وإندونيسيا...

وهـــذا ما أكده إمامنا المجاهد الشيخ ابن لادن – حفظه الله – في خطبة العيد التاريخية: "ففي الوقت الذي تســـيل فـــيه دماء المسلمين وتهدر في فلسطين والشيشان والفلبين وكشمير والسودان، ويموت أطفالنا بسبب الحصار الأمريكي في العراق، وفي الوقت الذي لم تلتئم جراحنا بعد منذ الحروب الصليبية على العالم الإسلامي في القرن الماضي، ونتيجة لاتفاقية سايكس بيكو بين بريطانيا وفرنسا والتي أدت إلى تقسيم العالم الإسلامي إلى قطـــع وأشـــلاء، ومـــازال عملاء الصليبيين يحكموننا إلى اليوم إذ بأجواء اتفاقية سايكس بيكو تطل علينا من جديد، إنها اتفاقية بوش بلير ولكنها تحت نفس الراية ولنفس الغاية، إنها راية الصليب وغايتها تحطيم ونهب أمة الحبيـــب ﷺ..." " وخلاصة الأمر أن استهداف أمريكا للمنطقة عموما وتقسيم بلاد الحرمين خصوصا ليس سحابة صيف عابرة وإنما هو هدف استراتيجي لا يغيب عن نظر السياسة الأمريكية الماكرة..."

ثانيا – مركزية فلسطين وخصائص العدو اليهودي:

إن الشعار الذي رفعته الحركات الإسلامية حول مركزية فلســـطين في المشروع الإسلامي، لم يتم تجسيده على أرض الواقـــع، بـــل بقي أسير مناسبات ومزايدات ومهرجانات فلكلوريـــة، ولم يستطع حاملوه ترجمته على أرض الواقع، وتحويله إلى برامج تفصيلية وسياسات واضحة، حيث كان ومـــازال لحد الآن مجرد شعار عام فضفاض ينقص أصحابه الإخـــلاص والجديـــة، أو المعـــرفة العميقة بطبيعة القضية الفلســـطينية والأطـــراف المشاركة فيها، ودلالات الشعار وأبعـــاده العقديـــة والسياســـية والاســـتراتيجية والأمنية والثقافية...، أي رصيده الفعلي على أرض الواقع.

إن القضية الفلسطينية – وللأسف الشديد – تم اختزالها في "بدعـــة " يوم القدس من طرف البعض، أي تحويلها إلى

> • إن الشعار الذي رفعته الحركات الإسلامية حول مركزية فلسطين في المشروع الإسلامي، لم يتم تجسيده على أرض الواقع، بل بقي أسير مناسبات ومزايدات ومهرجانات فلكلورية، ولم يستطع حاملوه ترجمته على أرض الواقع، وتحويله إلى برامج تفصيلية وسياسات واضحة.

مهرجان استعراضي فلكلوري يحتفل بها كل سنة وكأننا حررناها و لم يبق سوى إحياء الذكرى، والبعض الآخر في بعض المظاهرات (محددة الزمان والمكان والسقف) التي يتم الترخيص لها من طرف عملاء آل صهيون، وفي معظم الأحيان مدفوعة من طرفهم، ويتم الترويج للعويل والصراخ أو التنديد بالسياسة الصهيونية والإشادة به وكأنه إنجاز عظيم.. وللإشارة فقط فإن هذا الأمر ليس مقتصرا على المحسوبين على التيار الإسلامي بل حتى القوميين الذين يؤمنون بعروبة فلسطين.

إن هؤلاء جميعا إما يفتقدون إلى القناعة العقائدية والسياسية لما يقولون، أو أنهم يتخذونها كأداة لتحقيق مصالحهم الفئوية والطائفية والسياسية، ودليلنا هو أين هؤلاء من التذبيح والتقتيل والتشريد وهدم البيوت وترميل النساء الذي يمارس يوميا من طرف العدو الصهيوني؟

إنه من المبكيات والمضحكات أن تجد بعضهم يتسول يوميا عند عملاء الصليب ليسمحوا له بالعويل والصراخ، ليعفي نفسه من ضريبة الأخوة الإيمانية وعقد الولاء الذي يجمعه بالمسلمين، أو تجد بعضهم عندما اشتد الحصار على جنين المجاهدة يتقدم بتسوله للعدو الصهيوني بصفقة مربحة/خاسرة، أي أن يوقف الحصار مقابل إطلاق سراح ثلاثة جنود صهاينة، ويكرر الأمر في مناسبات أخرى ويعرضه وكأنه التزم بالعهود التي قطعها على نفسه في مهرجاناته الخطابية، وكلنا يعلم أن أمثال هذه الخطوات المخجلة إنما تعبر عن حالة من الإفلاس السياسي، إن لم نقل أنها من باب الضحك على الذقون.

> • إن المجاهدين الأحرار هم الذين خدموا و يخدمون القضية الفلسطينية عمليا وفي أكثر من موقع، لأنهم – ومن خلال رؤيتهم الإستراتيجية – يعرفون جيدا طبيعة عدوهم اليهودي، ويعلمون جيدا أنه يوجد ترابط عضوي بين آل صهيون وأمريكا والأنظمة العميلة.

إن المجاهدين الأحرار هم الذين خدموا و يخدمون القضية الفلسطينية عمليا وفي أكثر من موقع، لأنهم – ومن خلال رؤيتهم الاستراتيجية – يعرفون جيدا طبيعة عدوهم اليهودي، ويعلمون جيدا أنه يوجد ترابط عضوي بين آل صهيون وأمريكا والأنظمة العميلة، ولذلك كانوا – ولا زالوا – يسعون إلى التعرض لحلفائه وملحقاته في المنطقة؛ أمريكا والعملاء من الأنظمة الحاكمة، لأنهم الحماة الحقيقيون للمشروع الصهيوني.. وكأننا أمام توزيع للأدوار بين جماعات المجاهدين على امتداد العالم.. فالمجاهدون في مصر مثلا تصدوا للعميل السادات الذي دشن مسلسل الخيانة للقضية، وتنظيم القاعدة وحركة الطالبان يتصديان للأمريكان الذي يمثلون القوة الحقيقية للصهاينة.. وإخواننا في فلسطين يتصدون للعدو

الصهيوني في الداخل، وهذا يعني أن المجاهدين على تعدد جماعتهم كانوا سابقين في وعيهم بما يحاك للأمة، لكنهم خُذلوا لأن الأمة لم تكن تعرف قضيتهم وطبيعة مشروعهم، بسبب المعوقات الموضوعية، وكذلك الذاتية التي تعود إلى بعض القصور في إقامة الحجة ورفع الالتباس، وتوعية الناس عقديا وسياسيا، فضلا عن تعبئتهم وتنظيمهم.

• يمكن لكل فرد من الأمة أن ينصر إخوانه في فلسطين ويخدم قضيته المركزية من خلال الجهاد في أفغانستان أو الجزيرة العربية أو مصر أو الجزائر...، أي في كل البلاد العربية والإسلامية رافعا الشعار التالي: "تحرير أفغانستان/مصر/اليمن/العراق.. طريقنا إلى تحرير فلسطين وكل البلاد الإسلامية"، وذلك بالتصدي للمصالح الأمريكية والصهيونية وللعملاء.

تأسيسا على ما سبق، يمكن لكل فرد من الأمة أن ينصر إخوانه في فلسطين ويخدم قضيته المركزية من خلال الجهاد في أفغانستان أو الجزيرة العربية أو مصر أو الجزائر...، أي في كل البلاد العربية والإسلامية رافعا الشعار التالي: "تحرير أفغانستان/مصر/اليمن/العراق.. طريقنا إلى تحرير فلسطين وكل البلاد الإسلامية"، وذلك بالتصدي للمصالح الأمريكية والصهيونية وللعملاء، وكل من تقاعس عن القيام بدوره يعتبر متخاذلا وخائنا لقضيته الإسلامية/فلسطين، وهذا ما أشار إليه إمامنا المجاهد الشيخ ابن لادن – حفظه الله ونصره – بقوله: "لذا فإنه من الواجب المتعين على الأمة اليوم أن تدعم الجهاد عموما بما في ذلك فلسطين وأفغانستان، وهذه المحاور من أهم المحاور التي ينبغي التركيز عليها لاستتراف اليهود حلفاء الأمريكيين ولاستتراف الأمريكيين حلفاء اليهود، وإن هزيمة أمريكا في أفغانستان بإذن الله تكون بداية النهاية لها، ولن تؤتوا بإذن الله من قبلنا مع إخواننا المجاهدين الأفغان بإذن الله، فنرجو ألا نؤتى بإذن الله من قبلكم..."، "وبدا ظاهرا للناس أن أمريكا هذه القوة الظالمة يمكن أن تضرب ويمكن أن تذل وتهان وتقهر، ولأول مرة تعي غالبية الشعب الأمريكي حقيقة القضية الفلسطينية"، "ومع ذلك يؤكد حكام المنطقة في الخطابات والخطب تأييدهم لبوش في محاربة الإرهاب أي في محاربة الإسلام والمسلمين"، "أضف إلى ذلك اجتماع وزراء داخلية العرب المنتظم لمحاربة المجاهدين والتضييق على الدعاة والعلماء الصادقين الذين يسعون إلى تنبيه الأمة وإيقاظها للدفاع عن نفسها".

أما فيما يتعلق بالعدو اليهودي، فهو:

أ – من ناحية بنيته العقدية والفكرية والنفسية:

أي بعض خصائصه لاتخاذ الحيطة والحذر ليس منه فقط، بل مع كل من يريد إقامة السلام/التطبيع معه، وهذا ما ورد في خطبة العيد: "... وما أدراك ما يهود... يهود افتروا على الخالق.. فما بالك بالمخلوق. يهود... قتلة الأنبياء ونقضة العهود. قال الله عنهم: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾(البقرة:100).

إنهم يهود... أرباب الربا وأئمة الخنا... لن يبقوا لكم شيئا... لا دنيا ولا دين. قال الله عنهم: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ (النساء: 53). إنهم يهود... يعتقدون ديانة أن الناس عبيد لهم ومن أبى فحده القتل. قال الله تعالى عنهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(آل عمران: 75). هذه بعض صفات يهود فاحذروهم..."

ب – من ناحية أهدافه وخطورة ذلك على الأمة:

إن الهدف الذي يسعى العدو لتحقيقه هو ما يصطلح عليه سياسيا بـ"إسرائيل الكبرى"، مما يعني أن كل من وقف ضده في العراق أو مصر... في حالة ما لو تحقق فإنه سيقع له مثل ما يقع الآن لأهل فلسطين من تشريد وتقتيل...

وهذا ما جاء في خطبة العيد: "وإن من أهم أهداف هذه الحملة الصليبية الجديدة تهيئة الأجواء وتمهيد المنطقة بعد التقسيم لقيام ما يسمى بدولة إسرائيل الكبرى التي تضم داخل حدودها أجزاء كبيرة من العراق ومصر مرورا بسوريا ولبنان والأردن وكامل فلسطين وأجزاء كبيرة من بلاد الحرمين.

وما أدراك ما إسرائيل الكبرى وما سيصيب المنطقة من ويل وثبور، إنما ما يجري لأهلنا في فلسطين ما هو إلا نموذج يراد تكراره في سائر المنطقة على يد التحالف الصهيوأمريكي . قتل للرجال والنساء والولدان، وسجون وإرهاب وهدم للبيوت وتجريف

> • إن الهدف الذي يسعى العدو لتحقيقه هو ما يصطلح عليه سياسيا بـ"إسرائيل الكبرى"، مما يعني أن كل من وقف ضده في العراق أو مصر... في حالة ما لو تحقق فإنه سيقع له مثل ما يقع الآن لأهل فلسطين من تشريد وتقتيل.

للمزارع ونسف للمصانع والناس في خوف دائم ورعب جاثم، ينتظرون الموت في كل لحظة من صاروخ أو قذيفة تهدم بيتا وتقتل أختا وتئد رضيعة.

فماذا نجيب ربنا غدا... إن ما يجري هناك لا يحتمله أولو البأس من الرجال فكيف بحال الأمهات المستضعفات وهن يرين أطفالهن يقتلون بين أيديهن... إنا لله وإنا إليه راجعون وحسبنا الله ونعم الوكيل".

ج – من ناحية استراتيجية مواجهته وهزيمته:

إن الاستراتيجية الصحيحة للتصدي لإجرام العدو وتحرير أرض فلسطين هي الجهاد في سبيل الله، وليس بالمفاوضات أو إقامة السلام /الاستسلام معه، وهذا ما ذكره الإمام المجاهد –حفظه الله– في خطبة العيد: "والأمة موعودة بالنصر أيضا على اليهود كما أخبرنا رسولنا ﷺ حيث قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود. وفي هذا الحديث تنبيه أيضا إلى أن حسم الصراع مع الأعداء إنما يكون بالقتل والقتال لا بتعطيل طاقات الأمة لعشرات السنين عبر طرق أخرى كخدعة الديموقراطية وغيرها".

ثالثا- جوهر الصراع وخيار الجهاد/القتال:

إن جوهر الصراع مع العدو عقدي سياسي حضاري، سواء تعلق الأمر بالعدو الصليبي والصهيوني أو عملائه من الحكام في البلاد العربية والإسلامية، مما يجعل مسألة الحوار/ التفاوض معه عديمة الجدوى، لأنها لن تعيد لنا أرضنا وكرامتنا وديننا، وتجربة الأنظمة مع العدو الصليبي والصهيوني خير مثال، وكذلك الأحزاب المشاركة في لعبة الديمقراطية مع النظام الرسمي العميل.

مادام الأمر كذلك، فإن الخيار الوحيد الذي تملكه الأمة في تعاملها مع الأعداء المحاربين هو الجهاد في سبيل الله، وليس الديمقراطية التي يروج لها البعض، لأنها حتى ولو اعتبرناها تجاوزا كآلية وأداة في حسم الاختلافات فإنها غير موجودة في عالم الواقع، وما مجلس الأمن والأنظمة الرسمية

- إن جوهر الصراع مع العدو عقدي سياسي حضاري، سواء تعلق الأمر بالعدو الصليبي والصهيوني أو عملائه من الحكام في البلاد العربية والإسلامية، مما يجعل مسألة الحوار/ التفاوض معه عديمة الجدوى، لأنها لن تعيد لنا أرضنا وكرامتنا وديننا.

والجامعة العربية... منا ببعيد.

إن الديمقراطية تشكل خطورة كبيرة على المشروع الإسلامي، لأنها أصبحت تكتسي – خاصة في "المتخلفة" – لباس "البيعة المطلقة"، أي اتباع الحاكم والسكوت عن إجرامه وعن خيانته في كل الأحوال والظروف، حتى وإن كان عميلا على الملأ، (ولنا عودة مع الموضوع إن شاء الله).

• إن المفارقة العظيمة والتناقض الصارخ الذي يعيشه بعض المحسوبين على الإسلام من علماء ومثقفين وسياسيين هي أنهم سمحوا لأنفسهم بأن يتم احتواؤهم من طرف الطواغيت/عملاء الصليب، حيث يشكلون أحد رموزه، في حين نجد أنهم يتعاملون بحساسية خاصة ومفرطة مع المجاهدين الصادقين.

إن المفارقة العظيمة والتناقض الصارخ الذي يعيشه بعض المحسوبين على الإسلام من علماء ومثقفين وسياسيين هي أنهم سمحوا لأنفسهم بأن يتم احتواؤهم من طرف الطواغيت/عملاء الصليب، حيث يشكلون أحد رموزه، في حين نجد أنهم يتعاملون بحساسية خاصة ومفرطة مع المجاهدين الصادقين، أي أنهم لم يرضوا بالعمل ضمن أمير المؤمنين الملا عمر أو الإمام ابن لادن وسائر القيادات الجهادية – حفظهم الله جميعا –، أو حتى التحالف معهم (على افتراض وجود اختلاف في قضايا معينة) في حين أنهم رضوا بالدخول في بنية الأنظمة الطاغوتية العميلة وبالتحالف مع أكثر الأحزاب تطرفا في الدعوة إلى العلمانية.. إذن أين التوحيد؟ أين الولاء والبراء؟. إن المسلم على امتداد التاريخ كان يفضل أن يتعاون مع أخيه المسلم رغم اختلافه معه في الفهم (الشرع والواقع) وتقدير الأمور على أن يخذله، أما أن يمد يديه للعملاء أعداء الأمة والدين فيستحيل، وتاريخنا المشرق خير دليل.

أما خيار الجهاد/القتال وكما جاء في خطبة العيد، فتدعمه الدلائل التالية:

أ – **الشرع**: "فالسبيل لكف بأس الكفار هو الجهاد في سبيل الله كما قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً﴾(النساء: 84)"

ب – **السنن**: "وفي الخبر الذي دار بين رسول الله ﷺ وورقة بن نوفل قال ورقة: ياليتني فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا".

ج – **التاريخ**: "ذكر أهل السير أن المثنى الشيباني رحمه الله جاء المدينة يطلب مددا من الخليفة لقتال الفرس فندب الخليفة عمر ﷺ الناس ثلاثة أيام فلم يخرج أحد ففطن عمر ﷺ لما في نفوس الناس من عقدة قتال القوى العظمى فأمر المثنى أن يحدث الناس بما فتح الله عليه ضد فارس ليزيل ما بأنفسهم، فقام المثنى فتكلم ونشط القوم فكان مما قال: يا أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فإنا قد تبجحنا فارس وغلبناهم على خير شقي السواد وشاطرناهم ونلنا منهم واجترئ من قبلنا عليهم ولها إن شاء الله ما بعدها. فتحمس الناس وقام أبو عبيد الثقفي وعقد له الخليفة اللواء وتتابع القوم رضي الله عنهم..."

د – **الواقع**: "وابتداء أذكركم بهزيمة بعض القوى الكبرى على أيدي المجاهدين، فأذكركم بهزيمة الاتحاد السوفيتي السابقة والذي أصبح أثرا بعد عين بعد عشر سنين من القتال الضاري على أيدي أبناء الأفغان ومن ساعدهم من أبناء المسلمين بفضل الله.

وكذلك هزيمة الروس في بلاد الشيشان وضرب المجاهدون أروع الأمثلة في التضحية والفداء فحطم المجاهدون الشيشان مع إخوانهم العرب والأنصار كبرياء الروس فكبدوهم الخسائر تلو الخسائر فانسحبوا مدحورين بعد الحرب الأولى، ثم إن الروس رجعوا مرة أخرى بدعم أمريكي ومازلت روسيا إلى الآن تتكبد الخسائر الفادحة من فئة قليلة مؤمنة. نرجو الله أن يثبتهم وينصرهم. كما أذكركم بهزيمة القوات الأمريكية 1402 للهجرة عندما اجتاح بنو إسرائيل لبنان، فقدمت المقاومة اللبنانية شاحنة مملوءة بالمتفجرات إلى مركز القوات الأمريكية المارينز في بيروت فقتل منهم أكثر من 240 قتيلا فإلى جهنم وبئس المصير، ثم بعد حرب الخليج الثانية أدخلت أمريكا جيوشها إلى الصومال وقتلوا13000 من أبناء المسلمين هناك ولا حول ولا قوة إلا بالله وعندها وثب أسد الإسلام من العرب الأفغان فانبروا لهم مع إخوانهم في تلك الأرض فمرغوا كبريائها بالطين، فقتلوا منهم ودمروا من دباباتهم وأسقطوا من طائراتهم. ففرت أمريكا وحلفاؤها في ليل مظلم لا يلوي أحد على أحد. فلله الحمد والمنة وفي تلك الفترة أعد شباب الجهاد عبوات ناسفة ضد الأمريكيين في عدن فانفجرت فما كان من الجبناء إلا أن فروا في أقل من 24 ساعة ثم في عام 1415 للهجرة وقع انفجار في الرياض قتل بسببه 4 من الأمريكيين..." حاولنا أن نقتصر على بعض الأمثلة.

رابعا- الأمة المنصورة ومعوقات الانطلاق:

إن الأمة الإسلامية منصورة بإذن الله إن هي تمسكت بكتاب الله وسنة رسولنا العظيم عليه أفضل الصلاة والسلام وامتلكت الإرادة المصممة، وقادرة على حل كل معضلاتها العسكرية والسياسية والأمنية، والتغلب على قوة العدو العسكرية (تجربة فلسطين وأفغانستان والشيشان..)، وإيجاد بدائل ناجعة في المواجهة، لأنها تملك من المقومات العقدية والإستراتيجية والسياسية ما يؤهلها لذلك، بل وقيادة العالم إلى الحق والعدل والسلام

والرحمة مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(الحديد: 25)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

ولتحقيق هذا النصر يجب تحريرها من القيود التالية:

أ – **النظام الرسمي**: الذي يتألف من الحكام وعلماء السوء ووزراء البلاط وأصحاب الأقلام المأجورة، كما جاء في الخطبة التاريخية: "قال رسول الله ﷺ: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد" فاعتبروا يا أولي الأبصار، وهذا من أسباب هلاكنا ولا حول ولا قوة إلا بالله وأذكر كذلك قصة إسلام خالد ﷺ لتتحرر العقول من التبعية العمياء فقد قيل له بعد أن أسلم متأخرا أين كان عقلك يا خالد فلم تر نور النبوة بين ظهرانيكم منذ عشرين سنة فقال: كان أمامنا رجال كنا نرى أحلامهم كالجبال.

قال الإمام أحمد رحمه الله: من قلة فقه الرجل أن يقلد دينه الرجال، وأول هذه القيود والسدود في عصرنا الحاضر هم الحكام وشهداء الزور من علماء السوء ووزراء البلاط وأصحاب الأقلام المأجورة ومن شابههم، فأما الحكام فقد اتفق الناس على عجزهم وخيانتهم...".

ب – **القاعدون**: من العلماء والدعاة كما ورد في خطبة العيد: "أما السد الثاني فهم العلماء والدعاة المحبون للحق الكارهون للباطل القاعدون عن الجهاد تأولوا تأولا فصدوا الشباب عن الجهاد ولا حول ولا قوة إلا بالله هؤلاء رأوا الباطل ينتشر ويزداد فتداعوا للقيام بواجب نصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واهتدى وتفقه على أيديهم خلق كثير وحسنا فعلوا وجزاهم الله خيرا على ذلك إلا أن الباطل يضيق صدره بالحق وأهله فشرع في مضايقتهم وإخافتهم ومنعهم من الخطب والدروس وفصلهم من وظائفهم ثم سجن من أصر على مواصلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. إن هذه الضغوط الشديدة أدت تدريجيا إلى انحراف المسار إلا من رحم الله...".

خامسا – آفاق مستقبلية والواجب المتعين:

إن الحركة الجهادية سائرة في طريق النصر والتحرير إن شاء الله، وأن حال الأمة اليوم أفضل بكثير من الماضي رغم الظروف الصعبة التي تمر منها، والقتل والمطاردة والمعاناة التي تتعرض له يوميا، ومؤشرات ذلك واضحة في كل من فلسطين والشيشان وأفغانستان...، حيث مقدمات طبيعية وملامح النصر القادم بإذن الله ، إنه المخاض العسير الذي يسبق الولادة، أي ولادة الخلافة الإسلامية على نهج النبوة. لذا فهي بحق تستحق وسام انتمائها لمدرسة الأنبياء والرسل والمجاهدين والشهداء، وامتداد شرعي وسياسي لها.

أمام هذا الواقع يجب على الأمة بأسرها أن تشارك طليعتها الجهادية في معركتها التحريرية.

وهـــذا مـــا أشار إليه في خطبة العيد: "وأبشركم أن الجهاد في أفغانستان قائم اليوم بشكل جيد والحمد لله والأمور تسير نحو الأحسن لصالح المجاهدين بفضل الله، وها نحن في السنة الثانية من القتال. ولم تستطع أمريكا أن تحقق أهدافها وإنما تورطت في المستنقع الأفغاني"، "ويجب على الأمة أيضا أن تحافظ على الجهاد القائم اليوم وأن تنصـــره بكـــل مـــا أوتيت من قوة فهو عزيز جدا كما هو في فلسطين والشيشان وأفغانستان وكشمير وأندونيسيا والفلبين وغيرها من بلاد الإسلام. فإن الجهاد في هذه الدول لم تبق رايته مرفوعة بعد فضل الله رغم الهجمـــة الشرســـة مـــن الأعداء إلا ببذل ما لا يوصف من العناء و الدماء والأشلاء نرجو الله أن يتقبلهم في الشـــهداء"، "إن أوجب الواجبات بعد الإيمان اليوم هو دفع وقتال العدو الصائل قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وأمـــا دفع العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه" فلا يشترط له شرط فالجهـــاد اليوم متعين على الأمة بأسرها وهي واقعة في الإثم إلى أن تخرج من أبنائها وأموالها وطاقاتها ما يكفي لقـــيام الجهاد الذي يدفع بأس الكفار عن جميع المسلمين في فلسطين وغيرها. فيجب على المؤمنين أن يجاهدوا لإحقاق الحق وإبطال الباطل كل بحسب طاقته قال رسول الله ﷺ في صحيح مسلم: "فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن و ليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة من خردل". وهذا الحديث العظيم يشمل جميع المؤمنين".

سادسا- الخاتمة:

- إن خطابات الإمام ابن لادن - حفظه الله - بشكل عام، وخطبة العيد التاريخية بشكل خاص لم تأخذ مســاحتها الحقيقـية في الإعلام العربي والإسلامي، مثل ما يأخذه أعداء الله من الكلب بوش والخنزير شارون.

إن خطابات الإمام ابن لادن – حفظه الله – بشكل عام، وخطـــبة العـــيد التاريخية بشكل خاص لم تأخذ مساحتها الحقيقية في الإعلام العربي والإسلامي، مثل ما يأخذه أعداء الله من الكلب بوش والخنزير شارون. من جهتنا حاولنا أن نتعرض لأهم ما ورد فيها، مع العلم أنه كان بودنا أن نسد هـــذا الفـــراغ ونخصص حلقات في مجلة الأنصار المباركة، لتأخذ نصيبها من التحليل والتعميق والتفصيل، لكن تسارع الأحـــداث وضرورة التصدي لها بالتحليل تحصينا للأمة من الطواغيـــت عمـــلاء الصليب السلوليين والسامريين جعلنا نكتفي بهذا المقال، على أمل أن يستكمل إخواننا مناقشتها في موائد الحوار الإسلامية. ♦

نصر بلا حرب

حسين بن محمود

حدَثَ في جزيرة العرب

كنت مع مجموعة من الاخوة (المحسوبين على الصحوة الإسلامية) نتجاذب أطراف الحديث بعد الأحداث الأخيرة، وكانوا يتحدثون في مواضيع لا تمت إلى الأحداث بصلة، فاستغربت لشباب الإسلام والالتزام كيف يغضون الطرف عن حوادث هزت العالم أجمع ولها تداعيات كبيرة وخطيرة على مستقبل أُمتهم!! كيف لا يخوضون في هذا الموضوع وفي جلسة خاصة تجمعهم دون غيرهم!! فحاولت فتح هذا الباب وأبديت ملاحظة بسيطة على خبر نُشر في إحدى الجرائد، ففُتح باب الحوار وأبدى بعض الاخوة بعض الملاحظات، وفجأة وبدون مقدمات، عمّ المجلس صمت عجيب لبضع ثوان وكأنهم يتداركون الأمر، وإذا بأحد الاخوة يقول: "يا إخوان لا ينبغي لنا أن نخوض في هذه المسألة في مثل هذه الظروف فإنه قد يُضيَّق على بعضنا، والمسألة لا تستحق ذلك"!!!

الحقيقة أنني صُعقت لسماع هذه الكلمات، و لم أتمالك نفسي وقلت لهم متداركاً: إن هذه القضية قضيتكم، إنها قضية مصيرية تتعلق بمستقبل أُمتكم، ولا أدري من يتكلم في هذه القضية إن لم تتكلموا أنتهم فيها!! وقلت: أنه لم يأت أي أمر رسميّ من "ولاة الأُمور" يمنعنا من الخوض في هذه القضية في مجلس عام فضلاً عن مجلس خاص لا يسمعنا فيه إلا الله سبحانه وتعالى، فلم هذا الخوف!! فرأيت في وجه القوم علامات الاستغراب والاستفهام من كلامي وكأني أتيت كبيرة من كبائر الذنوب، فابتسم البعض واكتفى البعض الآخر بتلك العلامات البارزة على وجوههم. وبسرعة البرق، تغير الموضوع إلى مواضيع أُخرى شارك فيها الجميع حتى انفض المجلس بعد ساعة.

إن ما فعلته وتفعله الأجهزة الحكومية من التخلص الغير مُعلن من جميع الأشرطة والكتب الإسلامية المتعلقة بالجهاد من المكتبات الإسلامية (وخاصة ما يتعلق بأفغانستان والشيشان)، ومنعها الخطباء من الخطبة في أعظم حدث يمر على تاريخ الأُمة منذ عقود من الزمان ومنعهم من التصريح بالدعاء على أمريكا والاكتفاء بالدعاء العام على أعداء الأُمة!! وفي هذا الإطار إعلان جميع الدول الإسلامية التضامن والوقوف مع أمريكا ضد ما تسميه بالإرهاب (وتقصد به الإسلام) كل هذا وغيره جعلني أُدرك أن أمريكا قد انتصرت [على هؤلاء] في المعركة الأُولى وكان "نصرا بلا حرب".

إن قـــرارات الدول، وخاصة العربية، لم تبدأ من الحكام أو المجالس التشريعية في الدول وإنما بدأت من ذلك المجلـــس الخاص الذي جمع "نُخبة" من الشباب المسلم.. لقد سألت بعض الاخوة عن عدد المرات التي يدعون فـــيها للمسلمين في أفغانستان بعد هذه الأحداث، فوجدت أن الذي لا يتحرج من الكلام في الوضع الراهن تـــزيد عـــدد دعواته للمسلمين في أفغانستان بكثير عن عدد المرات التي يدعو بها المُحجم عن الخوض في هذا الأمر. بل قال لي أحدهم بأنه تردد أكثر من مرة في الدعاء للمسلمين في أفغانستان في قيامه (قيام الليل) وأنه لا يعلم لذلك سبباً!!

عبادة الخوف

> • إن الحذر أمر مطلوب شرعاً ولا شك، لكن أن يصل الأمر إلى أن يخاف المسلم حتى من أن يُحدّث نفسه بحديث مصيري كهذا، فهذا أمر يحتاج إلى وقفة وتأمُّل.

إن الحـــذر أمر مطلوب شرعاً ولا شك، لكن أن يصل الأمر إلى أن يخـــاف المسلم حتى من أن يُحدّث نفسه بحديث مصيري كهذا، فهذا أمر يحتاج إلى وقفة وتأمُّل. إن الأمر جِدٌّ خطير، ولا بُدّ من مراجعة دقيقة لهذه النظرية الانهزامية التي أظنها نتجت من خلل في عبادة قلبية أغفلها كثير من الناس.

يقـــول الله ســـبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْـــوِسُ بِـــهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيـــبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: 18]، وقد صرف بعض المسلمين هذه الآيات في غـــير مصرفها، فجعلوا "الرقيب العتيد" أجهزة الأمن، بل جعلوها أعظم من "المتلقيان" لأن المتلقيان يتلقيان عـــن "الـــيمين وعن الشمال" فقط، أما أجهزة الأمن في نظرهم فيتلقون عن كل الاتجاهات، بل صرفوا حتى الوسوسة التي نسب الله معرفتها لذاته سبحانه وتعالى نسبوها لأجهزة الأمن والحكومات وتصرّفوا وكأن هذه الأجهزة أقرب إليهم من حبل الوريد.

هـــذه المراقـــبة الذاتـــية هي من عبادة الخوف التي تعبدنا بها الله سبحانه وتعالى. يقول ابن تيمية رحمه الله "والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله"،[1] والخوف كما قال ابن القيم:

---

1 – العبودية.

"أحـــد أركـــان الإيمان والإحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين جميعها وهي: الخوف، والرجاءُ، والمحبة".[1]

إن صـــرف هـــذه العبادة لغير الله سبحانه و تعالى شرك به، قال تعالى: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: 175]، قال ابن القيم رحمه الله: "فجعل الخوف منه شرطاً في تحقق الإيمان".[2]

موازنة الخوف

فيجـــب الموازنة بين قولـــه ﴿خُذُوا حِذْرَكم﴾ وبين قولـــه ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَـــافُونِ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175] فالخوف كما قال أبو العباس: "هو الانخلاع عن طمأْنينة الأمن والتيقظ لنداءِ الوعيد، والحذر من سطوة العقاب"،[3] وهذا لا يُصرف إلا لله تعالى، قال علي بن أبي طالب ﷺ: "لا يرجوَنَّ عبد إلا ربه، ولا يخـــافنَّ عـــبد إلا ذنبه"،[4] وقد صرف هؤلاء الخوف من ذنب معصية الله إلى الخوف من معصية أجهزة الأمن والحكومات ومِن خلفها أمريكا التي ملأت قلوب الضعفاء رعباً إلى درجة مراقبتهم لخواطر أنفسهم.

> • خافوا من سوط أمريكا التي دفعتهم للسكوت عن قضاياهم المصيرية، وما محاولة بعض ولاة الأمر والمسؤولين من صرف الناس عن هذه القضايا إلا لينالوا رتبة القرب من أمريكا..

يقـــول ابـــن قدامة رحمه الله: "اعلم: أن الخوف سوط الله تعالى يســـوق بـــه عباده إلى المواظبة على العلم والعمل، لينالوا بهما رتبة القـــرب مـــن الله تعالى".اهـــ وهؤلاء خافوا من سوط أمريكا التي دفعتهم للسكوت عن قضاياهم المصيرية، وما محاولة بعض ولاة الأمر والمسؤولين من صرف الناس عن هذه القضايا إلا لينالوا رتبة القرب من أمريكا.

وإني والله لأعجب من "حكامنا" كيف يُطيعون أعداءهم بطمس كـــل مـــا يمـــت إلى أسباب القوة بصلة فيُضعفوا أنفسَهم بأنفسِهم ليُصبحوا لقمة سائغة بيد أعدائهم.

لقـــد طلبـــت مـــنهم أمريكا وقف أرصدة الجماعات الإسلامية فاستجابوا، ومضايقة الشباب المسلم فأجابوا، وإخفاء كل ما يمت إلى فريضة الجهاد بصلة فأجابوا.. ويُذكرني هذا بقصة المرأة التي أوصت

1 – طريق الهجرتين.
2 – طريق الهجرتين.
3 – نفس المصدر.
4 – نفس المصدر.

ابنـــتها المُقـــبلة على النكاح فقالت "اختبري زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه، فانزعي زُجّ رمحه، فإن سكت فقطّعـــي اللحم على ترسه، فإن سكت فكسّري العظام بسيفه، فإن صبر فاجعلي الإِكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارُك".

أقـــول "لأصدقاء" أمريكا: إن الأذان خطرٌ على أمريكا لأنه يُذكّر المسلمين بأن "الله أكبر" أكبر من أمريكا وأكـــبر مـــن "الناتو" ومن كل قوى الأرض فهل ستمنع حكوماتنا الأذان!! وماذا عن سورتي التوبة والأنفال وغيرها من السور التي تتكلم عن الجهاد هل تُلغيها من القرآن!! وصحيحا البخاري ومسلم وكتب السنة فيها أحاديث كثيرة عن الجهاد وفضل الشهداء وما أعد الله لهم في الدار الآخرة هل تحرق حكوماتنا هذه الكتب!! ومـــاذا عـــن المحفوظ في صدور الرجال هل تشق عن صدورهم لاستخراج آيات الجهاد والولاء والبراء منها إرضـــاء لأمـــريكا!! انتفوا اللحى.. أطيلوا الثياب.. اتركوا الصلاة.. أقلّوا من ذِكر الله.. لا تذكروا الكفار بســـوء.. اكفـــروا بعقـــيدة الولاء والبراء.. دعوا المسلمين في أفغانستان يموتون تحت النيران.. وإياكم وإدانة "العدالة" الأمريكية.. افعلوا كل هذا ونحن نضمن لكم رضى أمريكا..

مـــا أتعس المسلمين في زماننا هذا وما أشبه حالهم مع أعدائهم بحال التتري الذي استوقف مائة رجل مسلم وقـــال لهم "انتظروا هنا حتى آتي بالسيف فأقتلكم"، فلم يُحرّك أحدهم ساكناً من شدّة الخوف فأتى بالسيف فقتلهم أجمعين.

يا "وُلاة الأُمور" أتبتغون رضى أمريكا بسخط الله، فوالله لن تَجنوا إلا سخط الله، أما رضى أمريكا فدونه نار تلظّى ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم﴾ اطلبوا رضى الله بسخط أمريكا ينصركم الله عليها ﴿والعاقبة للمتقين﴾.

الإعلام العربي

يعمـــل الإعلام العربي منذ مدة وبخبث ومكر على تأليه أمـــريكا بتصريحات من يُسَمَّون بالخبراء والمحللين السياسيين والمفكـــرين، ومـــا أكثرهم هذه الأيام، بل حتى المومسات والداعـــرات مـــن الراقصات والمغنيات أصبحن يتكلمن في شؤون أُمة محمد ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام: "بين يدي الســـاعة سنون خدَّاعة يُتَّهم فيها الأمين ويُؤتمن فيها المُتَّهم

• يعمل الإعلام العربي منذ مدة وبخبث ومكر على تأليه أمريكا بتصريحات من يُسَمَّون بالخبراء والمحللين السياسيين والمفكرين، وما أكثرهم هذه الأيام، بل حتى المومسات والداعرات من الراقصات والمغنيات أصبحن يتكلمن في شؤون أُمة محمد ﷺ.

وينطق فيها الرويبضة قالوا: وما الرويبضة؟ قال: السفيه ينطق في أمر العامة" فالله المستعان.

ومـــن أساليب هؤلاء الخبراء و المحللين في تأليه أمريكا تلك التحليلات التي يخرجون بها بين الحين والآخر كأن يقولوا:

- "لمـــاذا سمحـــت أمريكا للطالبان بأن تمسك بزمام الأُمور في أفغانستان" وكأن رئيس أمريكا هو الذي ﴿يؤتي الملك من يشاء﴾.

- وإذا فشـــلت أمريكا في اغتيال عدو لها قالوا: إن أمريكا لا تريده ميتاً وإنما من مصلحة أمريكا أن يبقى فلاناً حيّا" وكأن أمريكا هي التي تحدد آجال الناس ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يَستَقْدِمون﴾.

- وإذا قررت أمريكا عمل حظر اقتصادي قالوا "هلك الناس وماتوا جوعاً" وكأن رئيس أمريكا هو الذي ﴿يرزق من يشاء﴾.

- وإذا أطلقـــت أمـــريكا قمـــراً صناعياً في الفضاء قالوا: المخابرات الأمريكية "ترى النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء".

- وإذا خـــالف أحد من المسلمين أمريكا قالوا: "هذه ليست سياسة حكيمة، كيف يخالف القوّة العظمى الوحيدة في العالم بجبروتها وقوتها..!!" وكأنه "لا حول ولا قوة إلا بأمريكا".

- وإذا أراد أحـــد الكـــيد لأمريكا قالوا: إن المخابرات الأمريكية من الكفاءة بمكان بحيث تستطيع كشف جميع المؤامرات" وكأنها تعلم "الغيب والشهادة".

- وبعـــد أن انتصـــر الأفغان على روسيا قالوا: إن أمريكا هي التي جلبت هذا الانتصار للأفغان. فأبدلوا ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ بـــ "وما النصر إلا من عند أمريكا".

- فما أسعد أمريكا بهؤلاء المحللين السياسيين والخبراء الاستراتيجيين، فهم والله خط الهجوم الأول والأخطر لأمريكا على دول الإسلام وعلى المسلمين.

- أنـــا لا أُقلـــل مـــن شأن قوة أمريكا العسكرية أو الاقتصادية أو السياســـية، بل أعترف لها بهذه القوة ولكنني أقول أنه يجب على المسلم أن يعلم بأنه "لو اجتمعت الأُمة على أن يضروك بشيء لن يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصُحف". إن الأجل يكتبه الله لا أمريكا، والرزق من عند الله لا من أمريكا، والنصر من عند الله لا من أمريكا، والـــ ﴿العزة لله جميعاً﴾ ليس لأمريكا منها نصيب،

• فمـــا أسـعد أمـريكا بهـــؤلاء المحللـــين السياســـيين والخـــبراء الإســـتراتيجيين، فهـــم والله خط الهجوم الأول والأخطـر لأمـريكا عـلى دول الإســـلام وعـــلى المسلمين.

ولا حـــول لأحــــد ولا قوّة إلا بالله، وأمريكا لا تفعل شيئاً إلا أن يشاءه الله، وما أمريكا بل والعالم أجمع إلا كنقطة في بحر هذا الكون الذي خلقه الله من عدم.

لقد أغرق الله الدنيا بدعاء نوح، وعذّب النمرود (الذي حكم العالم كله) بحشرة صغيرة حقيرة أربعين سنة، وأغرق فرعون وجنوده بدعاء موسى، وسخّر الجن والريح لسليمان، وألان الحديد لداود، وشق القمر لدعـــاء محمد – على أنبياء الله جميعاً الصلاة والسلام–، ومشى العلاء بن الحضرمي وجيشه على الماء بقدرة الله، وأكل خـــالد بـــن الوليد السم فلم يضره بقدرة الله، وسمع جيش سارية نداء عمر وهو في المدينة بقدرة الله، وهزم الأفغـــانُ وأهـــل الشيشان الروسَ بقدرة الله، وهزم الصوماليون الأمريكان بقدرة الله.. ولكن بعض المسلمين والمحللين السياسيين لا يعرفون أو لا يوقنون بقدرة الله، لقد استعبدهم أمريكا فاتخذوها إلهاً من دون الله ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

الحرب عقيدة

• إن الحـــرب الـــتي بينـــنا وبين أمريكا ليست حرب عسكرية بقـــدر مـــا هـــي حـــــرب عقديـــــة، ولله درّ علماءنا الأجلاّء الذين كانوا وما زالوا ينادون بالتركيز على بيان العقيدة الصحيحة للمسلمين.

إن الحرب التي بيننا وبين أمريكا ليست حرب عسكرية بقدر ما هـــي حرب عقدية، ولله درّ علماءنا الأجلاّء الذين كانوا وما زالوا يـــنادون بالتركـــيز عـــلى بيان العقيدة الصحيحة للمسلمين، فما أحوجنا اليوم للإيمان بأسماء الله وصفاته وفهمها فهماً عملياً واضحاً بعـــيداً عـــن فلسفة أهل الكلام والأهواء الذين أدخلوا الناس في متاهات فلسفية بعيدة عن مغزى كلام الله سبحانه وتعالى.

إن الـــذي يعلم أن الله "على كل شيء قدير" لا يخاف من قوة البشر.

إن الـــذي يعـــلم أن الله هـــو "الـــرزّاق" لا يخاف المقاطعات الاقتصادية.

إن الـــذي يعـــلم أن الله هو "السميع البصير" لا يخاف أجهزة الأمن.

إن الـــذي يعـــلم أن الله هـــو "المحـــيي والمميت" لا يخاف من الصواريخ والدبابات والطائرات.

إن الذي يعلم أن الله هو "القاهر فوق عباده" لا تُخيفه الأقمار الصناعية والأسلحة الفتّاكة.

إن الذي علم وعد الله ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ لا يخشى الهزيمة من البشر..

عقيدة التوكل

لقد سألت أحد المجاهدين الأفغان: كيف انتصرتم على الروس؟ فقال: "بالتوكل على الله"، ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾، إن الذي يعرف الله لا يخاف غيره. يقول ابن قدامة: "وأخوف الناس أعرفهم بنفسه وبربه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "أنا أعرفكم بالله، وأشدكم له خشية".[1] وما كانت فرائص كسرى وقيصر لترتعدان لسماع اسم عمر بن الخطاب لولا خشيته من الله فقد كان ﷺ يسمع الآية فيمرض فيعاد أياماً لا يعلم الناس ما به. وأخذ يوما تبنة من الأرض فقال: ياليتني كنت هذه التبنة، ياليتني لم أك شيئاً مذكوراً، ياليت أمي لم تلدني. وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء ﷺ وأرضاه.

قال ابن قدامة في المنهاج: "وإذا ثبت في نفسك أنه لا فاعل سواه واعتقدت مع ذلك أنه تام العلم والقدرة والرحمة، وأنه ليس وراء قدرته قدرة، ولا وراء علمه علم، ولا وراء رحمته رحمة، اتكل قلبك عليه وحْده لا محالة، ولم يلتفت إلى غيره بوجه، فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين: إما ضعف اليقين بأحد هذه الخصال: وإما ضعف القلب باستيلاء الجبن عليه، وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه".

• لقد جمع المسلمون في أيامنا هذه بين ضعف اليقين بالله والخوف من أعداء الله وغلبهم الجبن وأطبقت عليهم الأوهام فطلبوا العزة من عند غير الله فأذلهم الله وسلط عليهم أعدائهم..

لقد جمع المسلمون في أيامنا هذه بين ضعف اليقين بالله والخوف من أعداء الله وغلبهم الجبن وأطبقت عليهم الأوهام فطلبوا العزة من عند غير الله فأذلهم الله وسلط عليهم أعدائهم.

اعلم أخي: بأنه لا يجتمع خوف الله وخوف البشر في قلب إنسان فهُما كالزيت والماء لا يمتزجان، والخوف من الموت والنصر ضدّان "اطلب الموت توهب لك الحياة"، والحرص على الدنيا والإيمان بالآخرة خطان متوازيان لا يلتقيان....

والله أعلم ...

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. ◆

1 – منهاج القاصدين.